رســـالة الأديب
إلى الحياة العربية
للدكتور بشر فارس

الأديبة تريحنا من الأدباء :

القصر تدخله فيروعك الرواق الممدود والجدار المنطاق والسقف المقبَّب، ثم الطنافس كأنها من بطون النوق ، والمصابيح كأنها انسلت من أعطاف القمر ، والأسرّة كأنها من عضل الزنج منحوتة . فإذا طرفك تنهكه القلنبة ؛ حتى إذا انثنى إلى الخدر وارتفع له ستاره كان كالسنبلة تلطمها السموم فينيثها البلل . الخدر : زهر مطروح ، وإبريق مترع نصفه ، وكأس تنظر أين شاربها ، ومقعد مقتضب ولكنه وثير ، ووساد كأنه خدود جُمِّعت ، وباب هنالك تدفعه بنفثة

فبورك اليوم الذي فيه حنَّت أنامل ميّ إلى قلمها !

* * *

وبعد، فقد ألقت الآنسة ميّ في قاعة الجامعة الأمريكية ببيروت محاضرة موضوعها « رسالة الأديب إلى الحياة العربية » ، وقد نشرتها « الرسالة » (رقم ٢٤٨) وإذا هي محاضرة تسيل رقة وتشب خفّة ، فيها من الحقائق النواهض ما يكشف للذهن عن أفق منبسط وهّاج .

وثمت ثلاث حقائق لم ينصرف قلم الآنسة ميّ إليها؛ فهل لي أن أبينها هنا ؟

* * *

الأدب صناعة !

كذلك كان عند الأمم الراقية وفيها العرب أصحاب لغتنا . وكذلك هو اليوم في بلدان الفرنجة. و« الصناعة » لفظ له مدلول معين . إنما مداره هذه المجموعة من القواعد والشرائط . ومن الشرائط أن تكون منجذباً إلى الأدب سليقة ، وأن تنصبه فوق كل شيء ، وأن تبذل في سبيله ما عزّ عليك من متاع أو مطلب ، وأن تنصرف إليه لوجهه . ومن القواعد أن تملك اللغة التي تكتب بها ، وأن تكون مطلعاً على آدابها واقفاً على فنونها ، وأن تكون — فوق هذا — طلاّباً للعلم ، مأخوذاً بحمّى الاستطلاع المتصل ، مستقيماً في الأداء ، رغاباً في التطلع إلى التمام .

قواعد وشرائط هيهات أن تكون من مستحضرات الذهن النظري ، بل هي من مستخلصات تاريخ الآداب عامة .

هل الأدب صناعة في الشرق العربي ؟ إنه لصناعة عند فئة ممن يقبلون عليه وقلوبهم تحدثهم بقدره . غير أن العدد الأوفر من كتابنا وشعرائنا إنما يهجمون على الأدب من غير بابه .

أليس الأدب أن تقبض على قلم وتفرش ورقة وأنت عارف كيف ترفع الخبر وتخفض المضاف، وإن حيرتك حروف الجرّ أو أدار عقلك وصل الجمل وفصلها ؟ أما الذي يغشى الورقة فما لا شأن للقارىء فيه . أنا أكتب ، وأما أنت فالقراءة القراءة ، بل عليك أن تكبرني . لمه ؟ لأني أكتب ؛ لأني أديب . أين الشهادة بأني أديب؟ إن صحيفة كيت وكيت تنشر لي. إن لي كتاب كذا وكذا ... ماشاء الله ! ماذا تقول ؟ « الأدب صناعة » ؟ ها ها ! الأدب وحي ! الأدب زير يرشح وأنا الطست من تحته ! أجل أنا أقرض الشعر وإن لم أقوّم أوزانه ! الشعر موسيقى وأذني دف تنفره وثبات روحي اللطيفة . أجل أنا أحلل فلسفة برجسون وإن لم أقرأ أفلاطون ولا بلوطينس ولا سبينوزا ولا دركايم . إني أتسلق الدار وأعف عن إتيانها من موالجها . أجل أنا أؤلف مسرحيات وإن لم أقرأ مسرحية أفرنجية واحدة . لا حاجة بي إلى من يدلني على الطريق . أنا « موهوب » . أجل أنا أصف الصور والتماثيل التي في معارض الفن وإن لم ألح من متحف « اللوفر » سوى طرفاً من سلمه . الأدب تهويل على الناس ، يا صديقي . أجل أنا أتزلق إلى الغمز بمجمع اللغة العربية وإن لم أقرأ « القرآن » ولا « المخصص » ولا « مغني اللبيب » وإن جهلت كيف أطلب مادة أدب في القاموس المحيط . أنا أنشيء افتتاحيات سياسية ، والسياسة مدرجة إلى كل شيء

* * *

الأدب غذاء !

أن تشرح روحي وتزيد في علمي وترهف إحساسي وتصقل

إدراكي ثم تدفعني إلى حيث أفلت من قيود المادة ، ذلك الذي أرقبه منك خاصة أيها الأديب . أما أن تقصر أدبك على الترويح عن نفسي كأنك بمغاء يسلي عجوزاً عن شمطها فلي عنك في ذلك غنى . أليس بين يديّ « روايات الحيب » ومجلة « اللطائف » والصور المتحركة الأميركية و « الكسار » والمزمار البلدي ورقص البطن فضلاً عن القهوات وما يقع عليها من غرائب المخلوقات ؟

كأني بك تكتب وتلقى في اعتقادي أنك ممن يقود فكري فتقويني وتفسد عليّ معنى الأدب . وإن قلتَ : إني لم أهيّأ بعد لتلقي أسرار فنك لقعود فهمي عن النفوذ إلى مخبآت الضمير ، فما رسالتك إذن ؟ أترفعني إليك أم تنخفض إليّ ؟

خبّرني، هل رأيت — حياتَك — الزهرة تميل إلينا لتستروح شذاها أم هل رأيت البحر يأتينا في بيوتنا لتركبه إلى الشطء المحنون إليه ؟ روّضني على التفكير . خذ بيدي . خذ بما تيسر لك مني نحو ذلك الضوء الذي تراه (من باب الفرض على الأقل) ثم تأتّ لعيني وتلطف في فتحها. إن النشاوة التي تركبها إنما أمرها موكول إليك . وما هي بالمستعصية والله ! ولكن إياك والسطو على تآليف غيرك ولا سيما الفرنجة ، فانما روحك التي أنلمسها فيما تكتب ، ومن روحي إلى روحك رسول ، ألسنا من جبلّة واحدة ؟

* * *

المرأة قوام الأدب !

المرأة عندنا لم تعرف بعد ما المرأة . فإن كانت مثقفة فإنما يشغلها التحرر والنسج على منوال الأفرنجية في مظاهرها . وإن كانت أميّة فإن هي إلا عَرَض في عينيها . آه لو عرفت المرأة أن الأدب منها وإليها ! لأن بين يديها مفتاح الغبطة والألم . ومن ذا الذي يلقّنها هذا غير الأديب ، بل من ذا الذي يَقفُها على وليجة نفسها غيره ؟

الجانب الأعظم من أدبنا أشبه شيء بصحراء رُباها متناسقة ورمالها متناسبة وليس فيها بئر ولا نخل ، حتى إذا جُزتَها وفُزتَ أصبت عند مخرجها آباراً مهجورة ونخلاً تكاد الوحدة تصرعه . إن البيئة الشرقية مقسمة قسمين : هنا الرجال وهنالك النساء . وما أدري حتى اليوم كيف يستمرىء الرجال العيش على هذا النحو الشاذ. ولذلك ترى أدبنا المحدث غير طبيعي في جملته؛ أما الشعر فمصنوع ، وأما القصص فملفّق ، وأما الرسائل فجافّة

وإذا فُوّض إلى الأديب أن يرشد المرأة إلى سريرة نفسها ، فما وكل إلى المرأة بعد هذا أن تلهم الأديب من طريق مباشر أو غير مباشر ، وأن تهذب القارئ بلطف حسها فتقوم مقام الهمزة الدقيقة تصل بين الأدب الحق والمتطلع إليه

بشر فارس

رَجْع : في مقالي المنشور في العدد الماضي من الرسالة (٢٥٠) وعنوانه « في المذهب الرمزي » (تعليق) ، بعض هفوات ، منها : وكان لأجل ، والصواب : لأهل — Caboulade ، والصواب : Raphalite — Capoulade ، والصواب : Raphaelite — أو Rein menochliek ، والصواب : ألـ rein mensehlich — الطبيعة البشرية الموثوقة ، والصواب : الموثقة — l'aeure ، والصواب : l'Oeuvre بين التأثيرية ، والصواب : التأثرية — أن أدفع وهماً ، والصواب : وهماً ممكناً

ب . ف

النموذج

تأليف

محمد جلال

رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة

مدرس بمدرسة المعلمين العليا ومدرسة الفنون الجميلة

يجد فيه الآباء والأمهات وسائل تكوين الأخلاق وتقويمها وطرق التربية الوطنية والاستقلالية والأخلاق والإرادة

ويجد فيه الأدباء الصراع بين القديم والحديث (مسرحية) وفلسفة الضحك ومثيرات الضحك والانفعالات النفسية ودراسات أدبية خاصة بالمتنبي ونرثار دشو

ويجد فيه الناشئة فن الإمارة

يجب على كل من يريد تربية أولاده تربية صحيحة أن يقرأ هذا "النموذج"

يباع بمكتبة النهضة ومكتبة الانجلو المصرية ومكتبة زيدان ومكتبة مصر